البعث والنشور

للحارث المحاسبي

أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري

توفي ببغداد سنة ٢٤٣ هـ

HARVARD COLLEGE LIBRARY

حرَّرَ النص، ووضع الحواشي

فضيلة الشيخ

محمد عيسى رضوان

من علماء الأزهر

ويليه كتاب

معاتبة النفس

للمؤلف نفسه رحمه الله

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الاولى
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية - بيروت

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Le Nasher 41245

ولدي، ولا إسماعيل» فيقول الله سبحانه وتعالى:

«يا إبراهيم: هل رأيت خليلاً يعذب خليله؟» ثم ينادي موسى عليه السلام ويتعلق بساق العرش ويقول: «أنا كليمك موسى - عليه السلام - لا أسألك إلا نفسي. لا أسألك هارون أخي. نجني من أهوال جهنم» ثم يقبل عيسى عليه السلام باكياً. ويتعلق بسرادق العرش وينادي «إلهي وخالقي. أنا عيسى روحك وكلمتك لا أسألك إلا نفسي، نَجِّني مِن أهوالِ جهنم».

★ ★ ★

ثم ترتفع الأصوات بالصِّياح والبكاء... فينادي محمد ﷺ: «إلهي وسيدي، لا أسألك اليوم.... نفسي. إنما أسألك أمتي» فتنادي جهنم: من ذا الذي يشفع لأمته، وكل نفس لا تشفع إلا لنفسها؟ فيقول لها مالك «قري يا ناري عينا، فهذا محمد ﷺ يشفع لأمته». فتقول النار: إلهي وسيدي: نج محمداً وأمته من خزيي ولهيبي وأليم عقابي، فإنهم الضعفاء لا يصبرون على ذلك.

★ ★ ★

ثم يجرها الزبانية، حتى ينصبوها بساق العرش فتسجد بين يدي ربها سبحانه وتعالى. فيقول الله تعالى: «أين الشمس؟» فيؤتى بها بين يدي الله عز وجل. فيقول الله تعالى «أنت أمرت عبادي لك بالسجود؟» فتقول: «إلهي وسيدي، سبحانك، كيف؟.. آمرهم بذلك، وأنا في رِقِّ العبودية؟» فيقول الله تعالى: «صدقت». ثم يزاد في حرها سبعين ضعفاً ثم تدنوا من رؤوس الخلائق.

★ ★ ★

قال ابن عباس - رضي الله عنه، فيأخذ الناس العرقُ حتى تلتجم. والشمس تُغْلي أدمغتهم. كغليان القدور. وتصير بطونهم كالزقوق[١٧]. والدموع تجري

(١٧) الزقوق: جمع زق: وهو الإناء الواسع كالجرة والقلة.

كالمزاريب[١٨]. وقد ارتعت الرنَّة[١٩] بين الأمم. والنبي ﷺ قد شد مِيزَرَه[٢٠]. وفاضت دموعه على خديه - وهو مرة ساجدٌ أمامَ العرشِ ومرةً راكعٌ يشفع لأمته. والأنبياء ينظرون إلى جزعه وبكائه. ويقولون «سبحان الله، ما أتعبَ هذا العبد الكريم على الله في شأن أمتِه».

★ ★ ★

وعن ثابت البناني، عن عفان النهري، قال: دخل النبي ﷺ على فاطمة الزهراء رضي الله عنها، فوجدها تبكي، فقال: «يا قرة عيني: ما الذي أبكاك؟ قالت ذكرت قول تعالى: وحشرناهم[٢١] فلم نغادر منهم أحداً» فقعد النبي ﷺ وقال: «يا قرة عيني، لقد ذكرت يوماً عظيماً، ثم قال لها: يا فاطمة، تحشر أمتي. عراةً، حفاةً، عطاشاً، أوزارَهم على ظهورِهِم، ودُموعُهُم تجري على خُدودِهِم» فقالت فاطمة رضيَ الله عنها: «يا أبتاه أما تستحي النساء من الرجال؟» فقال النبي ﷺ: يا فاطمة: «إنَّ ذلكَ اليوم كل نفس مشغولة بنفسها، أما سمعت قول الله تعالى: «لكُلِّ امرىء منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنيهِ[٢٢]». فقالت فاطمة: «يا أبتي: أين ألقاك يوم القيامة. فقال: تجديني يوم القيامة على الحوض. أنا وأبو الحسن علي - رضي الله عنه أسقي أمتي من العطش، قالت: فإن لم أجدكم على الحوض؟ قال تجدينني على الصراط، والأنبياء حولي وأنا أقول: رب سلم أمتي، رب سلِّم أمَّتي، والملائكة يقولون آمين. آمين».

★ ★ ★

(١٨) المزاريب: جمع مزراب. وهو ماسورة تجلب الماء من أعلى إلى أسفل.

(١٩) الرَّنَّة: شدة الأصوات الأصوات.

(٢٠) ميرزة: أي مئزرة وهو الثياب. كناية عن الاستعداد لأمر هام.

(٢١) وحشرناهم: الآية الكريمة رقم ٤٧ من سورة الكهف. ﴿ويوم تسير الجبال. وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾.

(٢٢) لكل امرىء: الآية الكريمة رقم ٣٧ من سورة عبس، وقبلها: فإذا جاءت الصاخة: أي الضجة التي تصم من سمعها. فتفقده السمع - المصحف المفسر يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه. لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه.

فيقولونَ: من أنت أيها الملك الرحيم القلبَ. فما رأينا مُذ خرجنا مِن قبورِنا أحداً هنا غيرك؟ فيقول جبريل عليه السلام: «أنا جبريلُ الذي كنتُ أنزلُ بالرسالةِ على نبيِّكُم محمَّد ﷺ». فيقولونَ: يا حبيبَنا يا جبريلَ أما ترى ما صنعَتِ النَّارُ بنا. فيقولُ: «إن نبيَّكُم لم يعلَم بكم. فهل لكم إليه حاجةٌ أو رسالةٌ فيقولونَ: إذا رأيت محمَّداً ﷺ: فاقرأهُ مِنَّا السلامَ وأعلِمهُ بنا وقل له: إنَّ الكفارَ يعيِّرونَا. فيقولونَ لنا: ما تَرَوْا نفعَكُم الإسلامُ. صِرنا نحنُ وأنتُم في النَّارِ سواء».

قال فيأتي جبريلُ عليه السلام حتى يقفَ بينَ العليِّ الأعلى فيقولُ له سبحانهُ وتعالى: «يا جبريلُ. ما قالوا لكَ الأشقياءُ؟» فيقول حمَّلوني رسالةً إلى نبيِّهم محمد ﷺ وهي كذا وكذا فيقولُ له ربُّه. بلِّغْ رسالتَهُم. فيأتي جبريلُ، فيقفُ على بابِ الجنَّةِ، والنبي ﷺ جالسٌ في الوسيلةِ: وهي قصرٌ من دُرَّةٍ بيضاءَ. وبيدهِ الكاسُ. وعلى رأسهِ تاجُ الكرامةِ. وعن يمينهِ آدمَ ونوحَ وإبراهيمَ وعلي بن أبي طالبَ والحسنَ والحسينِ عليهمُ السلام.

وعن يسارهِ صالحُ وشعيبُ ويونسُ ويعقوبَ. والأنبياءُ بين يديه. وداودُ يقرأُ الزَّبُورَ بَينَ يديْهِ والمؤمنونَ حولَهُ في فرحٍ وسرورٍ. فينادي جبريلُ عليه السلامُ إليه وهو يبكي: مما رأى من عذابِ أهلِ الكبائرِ من أمَّةِ محمَّدٍ ﷺ، فيقولُ: «السلام عليك يا محمَّد». فيقولُ: «وعليكَ السَّلامُ يا أخي يا جبريل». فيقول جبريل: «إذْن مني يا رسولَ اللهِ حتى أضع جَناحي على فؤادِكَ لا يرجِفُ» فيضع جناحَه على فؤادِهِ. ويقول:

«يا محمَّد أنتَ تتلذَّذُ في الجنَّةِ. وعصابةٌ من أمَّتِكَ يعذَّبونَ بالنَّارِ. وهم يقرأونكَ السَّلامَ. ويقولونَ لكَ كذا وكذا». فيقولُ النبيُّ ﷺ أين هم، يا أخي يا جبريل. ثم يسقِطُ التاجَ عن رأسهِ المبارَكَ، ويَسقُطُ الكأسَ من يدِه. ويُنادي: «يا معْشَرَ الأنبياءِ أدْرِكوني». فعند ذلكَ يقومُ إليه البرَّاقُ، فيقولُ: ما أصنع بالبراق وأمتي بين أطباقِ النيرانِ يعذَّبونَ..

فيأتي النداُ من قبلِ الله تعالى: «يا معشرَ الأولياءِ والأنبياءِ إركبوا مع محمَّدٍ

ﷺ» فيخرجون معه، هو قدَّامَهُم وهم خلفَه حتى يأتي إلى العرشِ فيَخُرَّ ساجداً، ويسجُدَ الذينَ معه خلفه. فيقولُ اللهُ عز وجلَّ «يا محمَّد إرفع رأسَكَ، واسأل تُعْطَ، واشفَع تشفع ليس هذا دار عبادَة ولا ركوع ولا سجود، هذا دارُ سعادةٍ ووجود». فيقولُ النبيُّ لله: «يا ربِّ أمتي، أمتي، ألم تَعْهَد إليَّ أنك لم تخزني في أمَّتي؟» فيقولُ اللهُ عز وجلَّ: «يا محمَّد إنهم أقوامٌ أمرتُهُم بالمعروفِ فعصَوني، ونهيتهم فخالَفوني، ولم يتوبوا منَ الذُّنوبِ ولا مِنَ الحرامِ بالتوبةِ إليَّ، في دارِ الدُّنيا، وإني قد شفعتُكَ اليوم فيهم، امضِ يا جبريلُ أنت ومحمَّد ﷺ إلى خازنِ النَّارِ وقُل له، يا مالك: أخْرِج مِنَ النَّارِ مَن في قلبهِ مثقالَ ذرَّةٍ مِنَ الإمانِ».

فيمضي النبيُّ ﷺ وجبريلُ معه، وجميعُ الأنبياءِ والأولياءِ خلفَه، حتى يأتي إلى مالكَ، فيقولُ جبريل عليه السلام «يا محمَّد: قف مكانكَ، فإنك لا تقدِر أن تنظرَ إلى أمَّتِكَ وهم في النَّارِ» فيقولُ النبيُّ ﷺ «دعْني يا جبريلُ أنظُر إلى ما صنعتْ النَّارُ بهم»، فيسيرُ النبيُّ ﷺ فيتلقونَهُ أولادُ الأشقياءِ، فيتعلقونَ به. ويعدُونَ(٣٣) خلفه وبين يديه وهم يبكونَ، ويقولونَ: «يا رسولَ اللهِ: دخَلَ آباؤنا وأمَّهاتُنا النارَ» فيقولُ النبي ﷺ «اليومَ يجمَعُ اللهُ شملَكُم به إن شاءَ اللهُ». ثم يقبل مسرعاً نحو مالك، فإذا نظرَ مالكٌ إلى النبيِّ ﷺ حول وجههِ حياءً منهُ، وقال له «يا سيِّدي يا محمَّد، لا تلمني، فإنِّي عبدٌ مأمورٌ» فيقولُ النبيُّ ﷺ: «صِفْ حالَ أمَّتي؟» فيقولُ مالكُ «كيفَ حالُ أقوامٍ؟ أكلَت النَّارُ لُحومَهُم، واسوَدَّت عظامَهُم ومُزِّقَت جُلودَهُم» فيقول: «افتحِ الأطباقَ، لأنظرَ أمتي»، فيفتح الأطباقَ مالكٌ، فينظرُ النبيُّ ﷺ جهنَّمَ. فتقولُ له جهنَّمُ إليك عني، فإني قد حُرِّمْتُ عليك، وحُرِّمْتَ عَلَيَّ، فيقولُ النبيُّ ﷺ:

«يا جبريل، أريدُ أن أنظُرَ إلى أمتي وهُم في النارِ فيمُدُّ جبريلُ جناحَهُ له. فينظُرَ النبيُّ ﷺ إلى أمَّتِهِ فإذا قد صاروا فَحْماً». فيناديهم النبي ﷺ:

يا أمتي، يا أمتي.. يعز عليَّ ما قد نالكم من العذاب.

(٣٣) ويعدون: أي يجدون: والعدو الجري بشدة.